

الحياة الاقتصادية بمدينة فاس في عصر المرابطين

(448 - 541 هـ / 1056-1146م)

د. فتحية محمد الودانيقسم التاريخ كلية الآداب جامعة مصراتة

لم يعد التاريخ لصيقاً بالملوك والحكام، وتتبع الحروب وسير وأحداث المعارك؛ بل أصبح يشمل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، أو التاريخ الحضاري للمجتمعات بصفة عامة، وذلك لما لهذه المواضيع من أهمية في الوقت الحاضر، ودورها في معالجة القضايا التي تفتح آفاقاً جديدة لفهم توجهات، وحراك المجتمع، كما أنها هي المحرك الحقيقي للتاريخ السياسي والعسكري.

فدراسة التاريخ الاقتصادي كان ولا يزال بحاجة للمزيد من البحث والدراسة؛ وذلك لأهميته، وحجم مساهمته في صنع الأحداث التاريخية، وتحديد العلاقات بين الدول، وأثره على استقرارها من عدمه؛ إذ أنه يبين مدى قوتها على الصعيد الداخلي والخارجي، وتزداد أهمية هذه الدراسة في إبراز العوامل المؤثرة في أوضاعها الاقتصادية، إن اقتصاد أي منطقة في العالم يتوقف على عدة عناصر، منها: الزراعة، والصناعة، والتجارة. فما من دولة إلا وحبها الله بالعديد من النعم والثروات، لتكون مصدر رزق لأهلها الذين يقطنون فيها، على أن يعمل هؤلاء في استغلال هذه الثروات بالشكل الذي يمثل لهم مصدر رزق، ومن حكمة الله تعالى ان تنوعت الثروات وتعددت من منطقة لأخرى، ومن بلد إلى بلد، فشملت المواد المعدنية، والنباتية، والحيوانية.

شهد المغرب الأقصى فترة من الازدهار الاقتصادي؛ منذ أن تأسست على أرضه دولة المرابطين (448-541هـ / 1056-1146م)⁽¹⁾، حيث حرص أمراء المرابطين على النهوض بالمنطقة في شتى المجالات، زراعية كانت أو صناعية أو تجارية، وعم الرخاء السكان وارتفع الدخل المالي للبلاد نتيجة

(1) قامت الدولة المرابطية في صحراء المثلثين، خلال النصف الأول من القرن 5هـ/11م، على يد يحيى بن إبراهيم الجدالي وعبد الله بن ياسين، ومن ثم يحيى بن عمر الذي تولى من بعده أخيه أبو بكر بن عمر سنة 448هـ/1056م، وهي السنة التي تعد بداية قيام الدولة، التي توسعت وازدهرت في عهد يوسف بن تاشفين.

للمزيد من التفاصيل حول قيام الدولة المرابطية انظر: بن أبي زرع: روض القرطاس (تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1420هـ/1999م)، 151-183.

لتلك المساحات الكبيرة التي كانت تجبي منها الأموال للحكومة المركزية في العاصمة مراكش⁽¹⁾، ومن ثم رخصت الأسعار، وقد عبر ابن أبي زرع عن الرخاء الذي كانت تتمتع به البلاد في عهد المرابطين بقوله: "و بلغت مدينة فاس أيام المرابطين... من الغبطة والرفاهية والدعة ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب"⁽²⁾، وكانت مدينة فاس⁽³⁾، من أكثر مدن المغرب الأقصى شهرة، أسست بين عامي 192-193م/807-808م على يد الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله الذي تولى إمامة الأدارسة في المغرب سنة 188هـ/805م⁽⁴⁾، حين أراد أن يبني لنفسه مدينة⁽⁵⁾ تكون عاصمة جديدة ينتقل إليها بديوانه وجيشه ورجال حكومته بعد أن ضاقت به مدينة وليلى⁽⁶⁾.

-
- (1) مدينة بناها الأمير يوسف بن تاشفين، في سنة سبعين وأربعمائة، وقيل سنة تسع وخمسين وأربعمائة، بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات بجملة من أموال واحتطها له ولبنى عمه.
انظر: الحميري، محمد بن عبد المعمر (ت866هـ/1461م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، دار القلم للطباعة (بيروت 1395هـ/1975م)، ص540.
- (2) روض القرطاس، ص57.
- (3) بفتح الفاء ثم ألف وسين مهملة.
- انظر: البكري: المسالك والممالك (تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، بيت الحكمة للنشر، الدار العربية للكتاب، قرطاج، 1992م) ج2 ص795. ياقوت الحموي: معجم البلدان (تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م) ج4 ص261.
- (4) اختلافالمؤرخون المحدثون حول تاريخ تأسيس مدينة فاس هل أسست في زمن إدريس الأول أم في زمن إدريس الثاني.
انظر: بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس (ترجمة: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1956م) ص6-50. السيد عبدالعزیز سالم: تاريخ المغرب الكبير (دار النهضة العربية، بيروت، 1981م) ص487-501. محمود إسماعيل: الأدارسة (مكتبة مديبولي، القاهرة، 1991م) ص60. خالد حسين محمود: حضارة مدينة فاس في عصر الأدارسة "دراسة اقتصادية واجتماعية" (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2000م) ص52-60. كذلك راجع: كريمة عبد الرؤوف محمد: عامة مدينة فاس حتى نهاية عصر الموحدين 192-667هـ، (رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2005م) ص18-24.
- (5) المكناسي: عقد اللآلئ المستضيئة (مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم 1891) ورقة 251. مجهول: تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين والأندلسيين (مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم 603 تاريخ) ورقة 7. مجهول: خطط مدينة فاس (مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 610 بلدان، ميكروفيلم 9989) ورقة 6-7. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص40.
- (6) وليلى: مدينة بالمغرب قرب طنجة.
انظر: ياقوت: المصدر السابق، ج5 ص442.

حرص المرابطون على فرض سيطرتهم على مدينة فاس والجهات المحيطة بها⁽¹⁾، إذ أن السيطرة على فاس كان يعني السيطرة على أقاليم المغرب الأقصى كلها دون عناء⁽²⁾، ومن هنا بدأ ابن تاشفين يتحين الفرصة للسيطرة عليها، حتى تمكن من ذلك سنة 462هـ/1070م⁽³⁾.

كان لسيطرة المرابطين على مدينة فاس أهمية بالغة الأثر، فقد فتحت أمامهم الطريق ليكملوا فتح المغرب الأقصى بأكمله، ويستولوا على السهول الساحلية، كما اعتبر ذلك بداية احتكاك المرابطين بالحضارة المغربية الأندلسية التي كانت مزدهرة بمدينة فاس وبالسهول الساحلية في إقليم الريف⁽⁴⁾.

شهدت مدينة فاس فترة من الاستقرار على عهد المرابطين؛ فأزدهر النشاط الاقتصادي، حيث حرص أمراء المرابطين على نشر الأمن والطمأنينة في البلاد، فعم الرخاء وازداد الدخل المالي بها، وقد أسهم الأمن والاستقرار في تنشيط اقتصاديات المدينة، إذ جعل الأهالي ينصرفون للعمل والانتاج، مما جعل الجيوش المرابطية تعتمد في بعض مبرتها على اقتصاديات مدينة فاس⁽⁵⁾. التي تمثلت في الزراعة، والصناعة، والتجارة، لذا تهدف الدراسة من موضوع الحياة الاقتصادية بمدينة فاس في عصر المرابطين، للوصول إلى الصورة الحضارية للمدينة، وإبراز دورها الاقتصادي، والتي سوف نتناولها كما يلي:-

أولاً الزراعة :

(1) الملكية الزراعية:-

ملكية الأرض: (أ) أراضي الدولة:-

(1) مجهول: الخلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق: د.سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (دار الرشاد الحديثة، الدرا البيضاء، 1979م)، ص28. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م)، ص202. السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2ص699-700.

(2) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص219-223.

(3) اختلفت روايات المؤرخين القدامى بصدد دخول المرابطين مدينة فاس. فهناك رواية تذكر أنه تم دخولها سنة (467هـ/1075م).

انظر: ابن عذاري: البيان المغرب (تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1983م) ج4ص28. في حين أجمع آخرون على دخولها سنة (462هـ/1070م).

انظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص179. السلاوي: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق: مجد عثمان، دار الكتب العلمية (بيروت، 1432هـ/2007م)، ج1ص194، ويذكر أيضاً أن استيلاء المرابطين على فاس كان سنة (461هـ/1071م).

انظر: يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد (تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1980م) ص170.

(4) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص205.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4ص124-125 - حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، (مكتبة مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م)، ص182.

دخل المرابطون مدينة فاس فأصبحت الدولة هي المالك لكثير من الأراضي انطلاقاً من أن المرابطين حكموا على من ناوهم وصد عن دعوتهم في بداية أمرهم بالكفر⁽¹⁾، فكانوا يجمعون أسلاب المقتولين في غزواتهم ويجعلونها فيئاً وغنيمة لهم⁽²⁾، ففي فاس أقروا عامة أهلها ونفوا زناتة⁽³⁾، فألت أرضهم إلى ملكية الدولة المرابطية⁽⁴⁾.

ومن خلال استقراء العديد من المصادر التاريخية للدولة المرابطية نستبين أن هناك ثلاث مراحل متعاقبة لسياسة المرابطين لتملك الدولة للأراضي، فقد سن عبد الله بن ياسين "التطيب"⁽⁵⁾، فكان يأخذ الثلث من أموالهم ليحلل لهم بذلك الثلثين، على الرغم من أن ذلك شذوذ عن الأحكام ومخالفة للسنة، فقد أقطعوا الجند أرضاً يزرعونها ويستثمرونها وينتفعون بخيراتها مقابل أداء واجب الدفاع عن الوطن وقت الحرب⁽⁶⁾، ومع بداية عمليات الفتح لشمال المغرب الأقصى بدأ التخميس⁽⁷⁾، فأخذ

(1) عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري (دار الشروق ، القاهرة ، 1403هـ/1993م ، ط1) ص131 .

(2) البكري: المصدر السابق، ج2ص859؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص159 ، 163 ، 169 .

(3) زناتة: جبل عظيم، تنسب إليه قبائل كثيرة من البربر، بأقطار المغرب العربي، مثل مغراوة، وبني يفرن، وبني واسين، وجراوة، وبني وريندة، وورجلة، وبني يطف، وجل نسابة زناتة يرفعون نسبها إلى العرب، كانت مواطنهم الأصلية تمتد من جبال طرابلس إلى السوس الأقصى، إلا أن أكثرهم كان بالمغرب الأوسط حتى سمي وطن زناتة، سادت منهم أسر عديدة كبني خزر أمراء تلمسان، وبني يفرن أمراء سلا، ومغراوة سلاطين فاس، وبني خزرون ملوك سجلماسة.

انظر: ابن خلدون: العبر وديوان المتبدأ والخبر (دار القلم، بيروت، ط5، 1985م)، ج7ص3-9 - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص38. حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص33-34.

(4) عز الدين موسى : المرجع السابق، ص131 .

(5) التطيب : هو أخذ ثلث أموال من ينظم إليه من صنهاجة الصحراء لتطيب أموالهم .

أنظر : البكري : المصدر السابق ، ج2ص860 .

(6) حسن أحمد محمود : المرجع السابق، ص405؛ حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب الأندلس في عصر المرابطين، (دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م)، ص360.

(7) التخميس : هو أن يعامل القائد المنتصر المهزومين كغنيمة وأن يأخذ خمسهم لاستعمال الدولة ، وهي طريقة يشار إليها بالتخميس ، " يقال يقال أن عبد الله بن ياسين كان أول من خمس قسمة للمتونيين في صحرائهم "

أنظر: ابن عذاري : المصدر السابق ، ج4ص12 . مجهول : الحلل المشوية، ص21 ، ومن ناحية أخرى لاتنكر المصادر أن الأربعة أخماس الأخرى الباقية كانت تقسمها الجيوش ، ولايمكن أن يقبل دون تمحيص القول بأن المرابطين قسموا الغنائم التي أخذوها من المسلمين بمقتضى قواعد الخمس ، فالمرابطون بذلك عاملوا إخوانهم في الدين وكأنهم من الكفار ، ومن المحتمل أن رد عبد الله بن ياسين على ذلك : هو أنهم كانوا مارقين خارج حضيرة الإسلام .

أنظر : هوبكنز : النظم الإسلامية، نقله عن الإنجليزية: أمين توفيق، (الدار العربية للكتاب، تونس، د.ت.)، ص71-73 .

عبدالله بن ياسين⁽¹⁾، أموالهم ودواهم وأسلحتهم مع الأبل التي أخذ في درعة، فأخرج منه خمس جميعه ففرقه في فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهما، وقسم الباقي على المرابطين⁽²⁾، وفي موضع آخر ذكر أنه تم " جمع أسلاب المقتولين في ذلك الغزو وجعلها فيئاً للمرابطين " ⁽³⁾، و" أخذ أموال من قتل منهم منهم فجعلها فيئاً للمرابطين " ⁽⁴⁾، وتم توزيع المغانم على الفاتحين وتوقف هذه السياسة بعد تأسيس مدينة مراكش، فلم تذكر المصادر التاريخية⁽⁵⁾، أن تأمين الأراضي التي فتحت بعد تأسيس مراكش خمست، والراجح أنهم اتبعوا سياسة الإقطاع للجند وغيرهم، إذ يقول صاحب الحلل: إنه كان من عادة المرابطين في الأندلس أن يكرموا "من ظهرت نجده وأعانتته شجاعته بولاية موضع ينتفع بفوائده"⁽⁶⁾، ويتضح أن ذلك منح لحق التمتع بملك للانتفاع وليس تملكاً قاطعاً⁽⁷⁾، والواضح ان سياسة التخميس فالإقطاع ثم التعدي على أراضي بيت المال بيعاً⁽⁸⁾، أفقدت الدولة كثيراً من الأراضي التي ظهرت آثارها في إمارة الأمير علي بن يوسف⁽⁹⁾، على الرغم من احترام المرابطين للملكية الخاصة بعد استقرار أمرهم⁽¹⁰⁾.

(1) هو الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي، المجاهد المرابط الورع الزاهد الصوم القوام، مهدي المرابطين.

انظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص156.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 161 .

(3) المصدر نفسه، ص159 .

(4) المصدر نفسه، ص163 .

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4 ص22-23؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص175-180؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6 ص185-186.

(6) مجهول، ص82 .

(7) هوبكنز: المرجع السابق، ص156 .

(8) الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م)، ج9 ص542-543 .

(9) هو علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تارقوت اللمتوني، أمه أم ولد رومية أسماها منوا، وتسمى بأب الحسن، مولده بسببة بسببة سنة 477هـ، بويع له يوم مات أبوه بمراكش سنة 500هـ.

انظر: ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م)، ج1 ص459-460.

(10) عز الدين موس: المرجع السابق، ص133 .

الملكية الخاصة:

وجد " بفاس العتيقة داخل سورها جنان ورياض ذات أشجار ورياحين في دور الكبراء وبيوت الأعيان " ومنها نستوضح وجود ملكيات خاصة، جنان ورياض وبساتين كانت للأمراء وأعيان الدولة⁽¹⁾، كما كان لأهالي مدينة فاس نصيباً في الملكية الخاصة التي ظهرت نتيجة للاستقرار السياسي، فالعديد من البيوت كانت لها ضياع وعقارات كبيت بني المزدغي " تنسب إليهم أزقة وبساتين"⁽²⁾، وبيت بني علي " لهم جنات تعرف بهم "⁽³⁾، وبيت بني زنوية " لهم جنات وزيتون بأحواز فاس تعرف بهم "⁽⁴⁾، كذلك لأبن عطية بستان خاص به⁽⁵⁾، وهنالك بستاناً خاصاً لأبن حيون⁽⁶⁾، ناهيك عن الفقهاء الذين كان لهم ملكيات للأراضي بفاس، فالفقيه محمد بن عبود كان من أعيان فاس من أهل اليسار وكان له جنان⁽⁷⁾، ولم تقتصر ملكيات الأراضي على عدد محدود من الفقهاء، إنما شملت جميع الأسر الكبرى الكبرى التي عرفت بالعلم وشغلت خطة القضاء وما يلحق بها، فكانوا ينالون دنيا عريضة وأمور جلييلة⁽⁸⁾.

الهيئة الزراعية للإشراف والمتابعة:

كما وجد في عهد المرابطين ديوان لإدارة الأراضي بفاس، حيث يعين للإشراف على الأرض فكان مشرف مدينة فاس يدعى أبو محمد عبد الله بن حثيار الجباني الذي ظل في منصبه حتى بعدما استولى الموحدون على المدينة، وكانت واجباته مالية تتصل بالمكوس والرسوم المفروضة على الصنائع⁽⁹⁾، وكان

(1) (القلقشندي: صبح الأعشى (تحقيق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م)، ج5ص151 .

(2) ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى، (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م)، ص9 .

(3) المصدر نفسه ، ص25 .

(4) المصدر نفسه ، ص35 .

(5) الجزنائي: جنى زهر الآس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، (المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1429هـ/2008م)، ص45 .

(6) ابن عربي : الفتوحات المكية (بيروت ، دار صادر ، د.ت) ج4ص76 .

(7) ابن عيشون : الروض العطر الأنفاس، تحقيق: زهراء النظام، (منشورات كلية الآداب، الرباط، ط1، 1997م)، ص60-61.

(8) عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي، ص153 .

(9) ابن عذاري : البيان المغرب (قسم الموحدين)، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، (دار الثقافة ، الدار البيضاء ،

1406هـ/1985م) ص24

يساعد المشرف في عمله على الأراضي شخص آخر أطلق عليه اسم (الناظر) فقد ذكر ابن القاضي عن ابن العجوز " أنه زرع فداناً بباب الجيسة وحصده ودرسه وكان العام شديداً فجاءه الناظر عليه فقال له : تخرج إلى زرعك حتى نكتاله"⁽¹⁾.

طرق الري:

اعتمدت مدينة فاس اعتماداً أساسياً في ري زراعتها على مياه الأنهار، حيث كان يشقها " نهر كبير يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة " ⁽²⁾، وذكر إنه " نهر كبير يسمى بوادي فاس " ⁽³⁾، ووصفه ابن ابن أبي زرع بأن " ماء نهر مدينة فاس من أفضل مياه الأرض وأعدبها وأخفها، يخرج من عيون بأعلاها في بسيط من الأرض من ستين عنصراً كلها تنبعث من جهة القبلة " ⁽⁴⁾، يتشعب في داخلها أنهاراً وجداول واخلجان، فتخلل الأنهار ديارها وبساتينها وخباتها وشوارعها وأسواقها وحماماتها⁽⁵⁾، "فعدوة الأندلس يشقها نهر واحد يمر بأعلاها ويتنفع منه ببعضها" أما القرويين "فمياهاها كثيرة تجري منها في كل شارع وفي كل زقاق ساقية متى شاء أهل الموضع فجروها فغسلوا مكائهم ... وفي كل دار منها صغيرة كانت وكبيرة ساقية ماء نقياً كان أو غير نقي " ⁽⁶⁾، هذا إلى جانب احتواء المدينة على العديد من العيون الطبيعية العزيرة⁽⁷⁾، التي لاتحصى عدداً⁽⁸⁾، ويذكر الزهري: " أن عيونها على عدد أيام السنة السنة " ⁽⁹⁾، وذكر العمري: " أن فاس ذات عيون جارية ... فيها أربعمائة عين سارحة وقال الأمام أبو أبو عبد الله: أنها خمسمائة وستون عيناً " ⁽¹⁰⁾، وقيل: " عدتها ثلاثمائة وستون عيناً " ⁽¹¹⁾، و" مياه

(1) جذوة الاقتباس، ج2ص391-392 .

(2) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1866م، ص242 .

(3) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، (مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1958م)، ص180 .

(4) روض القرطاس ، ص43 .

(5) المصدر نفسه ، ص41 .

(6) الادريسي : المصدر السابق ، ص242 .

(7) المصدر نفسه ، ص243 .

(8) مجهول : الاستبصار ، ص180 . الحميري : المصدر السابق، ص434 .

(9) الزهري : كتاب الجغرافيا (تحقيق : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، د.ت) ص114 .

(10) مقتبس من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأقطار، تحقيق: دوريتا كرافكسي، (المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1985م)، ص138 .

(11) الفلقشندي : المصدر السابق ، ج5ص148 .

العيون عذبة صافية باردة في الصيف " (1)، وهي توفر للمدينة الكثير من المياه، بالإضافة إلى اعتماد المدينة على مياه الأمطار (2)، لكن الأمطار غير منتظمة في أوقاتها، فقد تتوالى أياماً وشهوراً، وقد تحبس تحبس عام كامل أو أعوام متصلة، لتظهر أهمية الأنهار (3).

اهتم ولاية الأمر من المرابطين بتوفير المياه، فشهدت مدينة فاس عملية حضارية ثم بما تقسيم وتوزيع مياه نهرها، وذلك داخل نطاق ما أحدثوا فيها من مآثر حضارية لتنظيم ربيها (4).

عمل ولاية المرابطون على توفير المياه، بسحب مياه الأنهار والعيون ببناء بركة في وسط صحن الدار يصب بها الماء يعبر عنها عندهم بالصهريج (5)، كما تم حفر الآبار في عدوة الأندلس التي وصفت بأن ماءها قليلة (6)، وبذلك برع المرابطون في الاستفادة من مياه الأنهار والعيون والآبار بتوصيلها إلى البساتين بوسائل متعددة، وكانت الروافع من سواقي تعد من أكثر وسائل الري انتشاراً في مدينة فاس التي كانت "مياهها كثيرة تجري منها في كل شارع وفي كل زقاق ساقية متى شاء أهل الموضع فجروها فغسلوا مكانهم ... وفي كل دار منها صغيرة كانت أو كبيرة ساقية ماء" (7)، وذكر في الاستبصار: عند حديثه عن جامع القرويين أنه يحتوي " من جهة الجوف ساقية متقنة البناء ملاصقة له، ماءها من الوادي، وجلب لها ماء عين ... وكذلك صنعت في جوف جامع القرويين ساقية متقنة البناء، ومياه جارية مع عتبة الباب الجوفي" (8)، أما الحميري ذكر بأنه: " في كل زقاق ساقية يجرونها متى شاءوا، وفي كل دار صغيرة كانت أو كبيرة ساقية ماء" (9)، ويوضح عز الدين موسى، أهم وأكثر وسائل الري انتشاراً في المغرب هي الروافع من سواقي أو (سواني) ونواعير ودواليب وخطارات، فالساقية والناعورة والدولاب أسماء لشئ واحد وأهم هذه الأشياء في الساقية الدابة التي تحركها، وعادة تكون ثوراً،

(1) الجزنائي : المصدر السابق ، ص 35 .

(2) ابن عذاري : قسم الموحدين ، ص 16 .

(3) عز الدين موسى : المرجع السابق ، ص 54-55 .

(4) عبد القادر زمامة : وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه في فاس القديمة (مجلة البحث العلمي ، العدد 31 ، أكتوبر 1980م) ص 141 .

(5) الفلقشندي : المصدر السابق ، ص 151 - عفيفي محمود إبراهيم : الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، (دار المعارف، مصر، 1998م)، ص 155 .

(6) الادريسي : المصدر السابق ، ص 242 .

(7) المصدر نفسه والصفحة.

(8) مجهول ، ص 180 .

(9) الروض المعطار ، ص 434 .

والقواديس التي تحمل الماء من الجابية وهي مجتمع الماء، وقد يرد استعمال كلمة الساقية أو السانية أحياناً بمعنى النهر الصغير أو الجدول أو الحقل ، أما الحضارة فهي صنف من الدواليب الخفاف⁽¹⁾ .
أهم المحاصيل الزراعية:

أما عن أشهر المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها مدينة فاس، فقد وصفت بأن ما تتمتع به هذه المدينة من محاصيل زراعية لا يوجد في أي من المدن القريبة والمحيطية منها، وهذا ما أكده ابن حوقل إذ قال: " وجميع ما بها من الفواكه والغلات والمطاعم والمشارب والتجارات ... فزائد على سائر ما قرب منها وبعد في أرض الهبط موقعه "⁽²⁾، فكما نعلم أن مدينة فاس وصفت بأنها مدينة خصبة⁽³⁾، بل ذكر الإدريسي أن " خصبتها زائدة "، حيث وفر لها نهر سيبو تربة فيضية خصبة "⁽⁴⁾، بالإضافة إلى ما تتمتع به مدينة فاس من اعتدال مناخها وانقسام سطحها إلى مناطق ذات ارتفاع وانخفاض جعلتها من المناطق الزراعية فازدهرت أشجارها وطابت ثمارها وأخصبت زروعها⁽⁵⁾، فقد كان يوجد في غرب المدينة حقول واسعة بها كميات كبيرة من الخضر والبقول، بسبب تعدد السواقي هناك وكثرة العيون فيها، حتى أنها كانت تكفي المدينة كلها⁽⁶⁾، كما كان يوجد في منطقة جبل زلاغ على بعد خمسة فراسخ من فاس وينتهي على بعد فرسخ واحد منها حقول كثيرة صالحة للزراعة، تسقى بماء النهر بواسطة الناعورات وكان يعمل في هذه الحقول سكان الجبل، ويمتلك أعيان فاس أكبر حصة من أراضيهم في هذه المنطقة، وانتشرت حقول القمح الواسعة في سهل الجبل المطل على فاس من ناحية الشرق، وفي غرب فاس حيث سهل سايس، وزودت منطقتي أزغار⁽⁷⁾، وبني ومود⁽⁸⁾، مدينة فاس

(1) النشاط الاقتصادي، ص 62 .

(2) صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، 1983م، ص90-91 .

(3) المصدر نفسه، ص 90 .

(4) نزهة المشتاق، ص242 .

(5) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 43 . القلقشندي : المصدر السابق ، ج5ص148 . ابن القاضي : المصدر السابق ، ج1ص45 .

(6) (مارمول : إفريقيا، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1408-1409هـ/1988-1989م)، ج2ص180-181 .

(7) أزغار : منطقة من إقليم فاس تنتهي في اتجاه الشمال على المحيط الاطلنطي ، وتنتهي غرباً عند نهر سبو وتحتم من الشرق عند جبال غمارة غمارة ، كما ينتهي قسم منها عند الزهون وعند قدم جبل زلاغ ، وتنتهي جنوباً بجوار نهر بونصر .

أنظر : الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، (الرياض، د.ن، 1978-1979م)، ص 301 .

(8) بني مود : منطقة بإقليم فاس لا يفصلها عن مدينة فاس سوى النهر .

أنظر : مارمول : المصدر السابق ، ج2ص181، 256 .

بالكثير من غلال القمح التي كانت تحصد بهما⁽¹⁾، ودعت وفرة القمح في المدينة إلى عمل مخازن لها داخلها المطامير، وهي مجموعة في مكان واحد يستدير به سور منيع عليه باب مغلق ويسمى هذا الموضع بـ (المرسى القديم)⁽²⁾، وهذه العوامل وفرت للمدينة ما يلزمها من محاصيل زراعية مختلفة من أشهرها: حبوب "القمح والشعير والبقول والحمص والعدس والدخن والسلت وغير ذلك"⁽³⁾، ولوفرة إنتاج إنتاج القمح وإمتلاك الدولة والأهالي لكميات كبيرة منه، وصفت الحنطة (القمح) بأنها رخيصة الأسعار دون غيرها من البلاد القريبة منها⁽⁴⁾.

بجانب زراعة الحبوب كانت شجرة الزيتون موجودة في المدينة قبيل عصر المرابطين، الذين زادوا من زراعتها ليصبح محصول تجاري، فكثرت بالقرب من عدوة القرويين، بالإضافة إلى شجرة التين "فهو بلد كثير الخيرات مثل التين والزيتون"⁽⁵⁾.

كما كان لفاس نصيباً كبيراً من الفواكه خاصة العنب، إذ يذكر الزهري: إن "على هذه المدينة الجبل المسمى بجبل العنب على نحو الميلين سمي بهذا الأسم لأن فيه عنباً كثيراً وكرماً غزيراً"، أما عن البساتين والحدائق فقد إزداد الاهتمام بها حتى وصفت فاس بأن "6"⁽⁶⁾،

بساتينها عامرة وحدائقها ملتفة"⁽⁷⁾، ذات جنائن كبرى ورياض⁽⁸⁾، شبهت بكثرتها ببساتين دمشق⁽⁹⁾، دمشق⁽⁹⁾، وانتشرت الغابات بالمدينة فكان بها "المحطب في جبل بني بملول"⁽¹⁰⁾، الذي اشتمل على

-
- (1) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص301 ، مامول : المصدر السابق ، ج2ص181 ، 186-187 ، 256-257 .
 - (2) العمري : مقتبس من كتاب المسالك ، ص139 . القلقشندي : المصدر السابق ، ج5ص151 .
 - (3) المصدران نفسهما والصفحات .
 - (4) الإدريسي : المصدر السابق ، ص243 . الحميري : روض المعطار ، ص434 .
 - (5) المقديسي : أحسن التقاسيم (مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط3 ، 1411هـ/1991م)، ص229- عز الدين موسى : المرجع السابق ، ص195
 - (6) كتاب الجغرافيا ، ص115 .
 - (7) الإدريسي : المصدر السابق ، ص243 .
 - (8) الزهري : المصدر السابق ، ص114 .
 - (9) العمري : مقتبس من المسالك ، ص141 . القلقشندي : المصدر السابق ، ج5ص151 .
 - (10) بني بملول : ويقال بملولة: والبهايل قبيلة بربرية الأصل عربية اللسان، كانت تسكن التلال الواقعة شمال غرب فاس. انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص41 .

أنواع من شجر البلوط والفحم مالا يوصف كثرة، وغابات الأرز إلى جانب الأشجار الكبيرة التي شكلت غابة كثيفة من جميع الجوانب⁽¹⁾.

حرفة الرعي:

أهتم أهالي مدينة فاس بتربية الحيوانات للاستفادة منها سواء في الأعمال المتصلة بالزراعة من حرت ودرس ونقل ورفع المياه من العيون والآبار أو للحصول على لحومها وألبانها وجلودها، فربوا منها الأبقار والأغنام والجمال والبغال⁽²⁾، كما كانت المنطقة الجبلية الواقعة بين فاس وتامسنا ممتلئة بالأسود التي كانوا يقومون باصطيادها⁽³⁾، وإلى جانب ذلك ربي أهالي المدينة أنواعاً كبيرة من الأوز والحمام والدجاج، وقد اهتموا واعتنوا بنظافة دورهم ليحفظوا فيها الدجاج في أقفاص كبيرة⁽⁴⁾.

الثروة السمكية:

كان لكثرة الأنهار أثر كبير في تزويد المدينة بالثروة السمكية، حيث مارست طائفة كبيرة مهنة الصيد على ضفاف الأنهار القريبة والتي تمر بالمدينة والمسمى بنهر الجوهر، ففيها كانت أنواع كبيرة من الأسماك ذكره ابن أبي زرع: أنه " يخرج منه أنواع الحوت مثل اللبيس والبوري والسلباح والبوقه"⁽⁵⁾، وذلك كله حوت لذيد المطعم كثير المنفعة⁽⁶⁾، وتميز نهر سبو بأسمائه ثقيلة الأوزان حتى ان بعضها تزن الواحدة قنطاراً أو أزيد⁽⁷⁾، وقد أشار صاحب كتاب الاستبصار إلى أنواع مختلفة من الأسماك الموجودة بوادي سبو بقوله " ويتصيد في هذا الوادي الشايل الكثير ويطلع إلى رأس العين أو قرب منه، ويدخل في هذا الوادي الحوت الكثير، ويتصيد في بعض الأحيان البوري الكبير، وذكر الثقات أنه بيع واحد بثلاثة عشر درهماً ورطل كبير منه بدرهم ونصف ويصل إلى المدينة الحوت الكبير المسمى عندهم بالقرب (بالغرب)

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص41-42. الجزنائي: المصدر السابق، ص35. ابن القاضي: المصدر السابق، ج1ص44.

(2) مارمول: المرجع السابق، ج2ص29، 154.

(3) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص252.

(4) الحسن الوزان: المصدر السابق، ص162. مارمول: المرجع السابق، ج2ص152. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1416هـ/1996م)، ج4ص599؛ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص252.

(5) روض القرطاس، ص43. الجزنائي: المصدر السابق، ص35.

(6) الجزنائي: المصدر السابق، ص35.

(7) المصدر نفسه، ص39.

يحملة الحمار ... وأخبرني الثقات أنه كان بمدينة فاس ومكانة الحوت الذي يسمى بالشوله وهو ألد ما يوجد من أنواع السمك، نصنع منه الألوان بأصناف البقل فلا تشم له رائحة سمك" (1).

ثانيًا الصناعة :-

عوامل ازدهار الصناعة:

فرض المرابطون الأمن في المغرب الأقصى والأندلس منذ قيام دولتهم، وتأقلم المرابطون بسرعة مع الحضارة الأندلسية بعدما سيطروا عليها، وقامت نهضة زراعية في المغرب الأقصى، كل هذه العوامل ساعدت على قيام صناعات جديدة وتطوير القديم منها، وخاصة الصناعات الحربية ومواد المعمار وأدواته فضلاً عما احتاجه الترف الذي انتشر في أواخر أيام المرابطين من متطلبات (2).

قامت الصناعة في مدينة فاس على دعامتين أساسيتين أولهما: توفر المواد الخام في المدينة سواء معدنية أو نباتية أو حيوانية، وثانيهما: توفر الأيدي العاملة المدربة على الصناعات المختلفة، حيث اكتسب الصناع خبرتهم نتيجة المهارات التي تجمعت لديهم عبر السنين، كذلك نتيجة الهجرات المبكرة التي شهدتها المدينة من إفريقية منذ عهد الأدارسة، والأندلس، فمنذ سيطرة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي عمد إلى إستقدام كثير من صناع الأندلس عندما سعى إلى التوسع والبناء والتعمير (3)، مما نتج عنه تنوع الخبرات.

أهم الصناعات:

مثلت الحرف القاعدة الانتاجية لمدينة فاس، إذ كان الحرفيون يقومون بدور بارز في تنشيط حياة المدينة الاقتصادية، وذلك بتحويل المواد الخام إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق (4)، وقد وصف ابن سعيد المغربي، مدينة فاس بقوله: " هي من خواص المغرب الملاء بالخيرات والصنائع الغربية" (5)، وأشارت

(1) مجهول، ص 184-185. الجزائرني: المصدر السابق، ص 39. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 253-254.

(2) عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 209.

(3) الجزائرني: المصدر السابق، ص 42. ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1 ص 27. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 260.

(4) عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في المغرب في العصر الوسيط (مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد الثاني، سنة 1985-1986م) ص 49.

(5) بسط الأرض في الطول والعرض (تحقيق: خوانقرنيط خينيس، تطوان، 1958م) ص 74.

العديد من المصادر إلى كثرة المصانع والدور التي اشتهرت بالصناعات المختلفة في مدينة فاس⁽¹⁾، ففي ذلك قال الجزنائي " والأطرزة ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين، ودور عمل الصابون سبعاً وأربعين، ودور الدباغ ستاً وثمانين، ودور الصباغ مئة وست عشرة داراً، ودور سبك الحديد والنحاس اثني عشرة، ودور عمل الزجاج إحدى عشرة، وكوش الخبز مئة وخمسةً وثلاثين، وأفران الخبز ألفاً ومئة وسبعين، وأحجار عمل الكاغد أربعمئة، كل ذلك بداخل المدينة، ودور الفخار ثمانمئة وثمان وثمانين بخارج المدينة"⁽²⁾.
صناعة المنسوجات والملابس:-

برع أهل مدينة فاس في صناعة المنسوجات والملابس، وكان لتوفر الكتان بمدينة فاس أثره في ازدهار صناعة النسيج الكتاني الذي كان له أماكن خاصة بالمدينة، وكانوا تجار مدينة فاس الذين يعتقدون صفقات هامة في منطقة هسكورة بمقايضة أقمشتهم الكتانية في مقابل الجلود والسروج⁽³⁾، وذكر في موضع آخر بأنه " يباع في نفرة أشياء مصنوعة في فاس على الخصوص كالأقمشة الكتانية..."⁽⁴⁾، كما ارتبطت حرفة الغزل بصناعة النسيج، فكان بفاس (141) داراً خاصة بالغزل⁽⁵⁾، وتنوعت الملابس بفاس فكان منها الكتاني والقطن والحرير⁽⁶⁾، وعرفت فاس كذلك بفن صباغة الأقمشة التي ارتبطت بصناعة النسيج ارتباطاً وثيقاً⁽⁷⁾.
صناعة الورق:-

أما عن صناعة الورق، فقد ازدهرت وبلغت شأواً عظيماً⁽⁸⁾،

-
- (1) مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس (مخطوط بالهيفة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 9732 ميكروفيلم 10988). قام بنسخ هذا المخطوط عبد السلام الغرابلي الجليلاني، ورقة، ص 57.
 - (2) زهرة الآس، ص 43-44.
 - (3) الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 171.
 - (4) المصدر نفسه: ص 184.
 - (5) السيوطي: كتاب في نسب بعض الصحابة والاشراف الادريسيين وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 2024)، ورقة 30.
 - (6) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، (منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970م)، ص 140 - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 184.
 - (7) ياقوت: معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1410هـ/1990م)، ج 4 ص 261 - عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، ص 49.
 - (8) حسن علي حسن: الحضارة، ص 263.

علماً بأن صناعة الورق تتصل بالمنسوجات لان الورق كان يصنع في المغرب من القطن والكتان⁽¹⁾، وقد ذكر ابن خلدون: أن صناعة الورق من توابع العمران واتساع نطاق الدولة، حيث التأليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق⁽²⁾، كان في فاس مركز للوراقة حيث قال ابن القاضي في ترجمته لأبي زيد عبد الرحمن بن مُجَّد المعروف بأبن الصقر الأنصاري البنلنسي المولد (523هـ/1128م) "، سكن فاس ووعظ بما الناس وألتزم الوراقة في حانوت بغيري جامعها متقللاً من الدنيا زاهداً فيها"⁽³⁾، وذكر أن الوراقين الذين احترفوا النساخة في عهد المرابطين كان عددهم قليل لا يتعدى خمسة منهم: عبد الملك بن عبد العزيز بن وليد اللخمي الشاطبي الأصل نزيل فاس، كان حسن الوراقة فقيهاً صحيح النقل، نسخ بفاس كتاب الاستذكار⁽⁴⁾، ويحيى بن مُجَّد بن عباد اللخمي، وكان وراقاً للأمير علي بن يوسف بن تاشفين، كتب له بمدينة مراكش برسم خزانة أمير المسلمين " هذا نسخة على الرق من كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، رواية يحيى بن يحيى الليثي وخطه فيها أندلسي جيد متنفس⁽⁵⁾، وكذلك زاوي بن مناد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي، يعرف بابن تقسوط ويكنى أبا بكر وأبا الحسن " كان رجلاً صالحاً فاضلاً معنياً بالرواية، كتب بخطه علماً كثيراً"⁽⁶⁾، وعياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي(ت 544هـ/1149م)، حيث كان رحمه الله، بارع الخط المغربي سريع الوضع، يدل على ذلك وجود أوضاع كثيرة، وكتب عديدة يقصر عنها الحصر بخط يده⁽⁷⁾، ومن الوراقين المغاربة الذين استوطنوا خارج المغرب أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الخطيطة اللخمي الفاسي، ولد في مدينة فاس سنة (478هـ/1085م) وانتقل ليستقر في مصر، وكان من مشاهير الصلحاء وأعيانهم، فيه فضيلة ومعرفة بالأدب، رأساً في القراءات السبع، ونسخ بخطه كثيراً

(1) عز الدين موسى : المرجع السابق، ص223 .

(2) المقدمة ، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وا، (مخضة مصر، القاهرة، ط5، 2010م) ج2ص889، أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس، (دار النهضة العربية، بيروت، د.ت)، ص152 .

(3) جدوة الاقتباس ، ج2ص408-409 .

(4) المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: مُجَّد بن شريفة، (دار الثقافة، بيروت، د.ت، السفر الأول، والسفر الثامن. والسفر الرابع، والسفر الخامس، والسفر السادس، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965م)، مج5 رقم (79) .

(5) مُجَّد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية، (مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1241هـ/1991م)، ص21.

(6) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام المراس، (دار الفكر، لبنان، 1415هـ/1995م)، ج1ص269 .

(7) مُجَّد المنوني: المرجع السابق، ص22، 24.

من كتب الأدب وغيرها، وكان جميل الخط الحسن حسن الضبط⁽¹⁾، عاش منفرداً ينسخ ويأكل من نسخته⁽²⁾.

(ج) الصناعات الخشبية:-

كما شهدت فاس تقدماً في الصناعات الخشبية تمشياً مع الأوضاع السياسية والضروريات العسكرية، وساعد على ذلك توفر غابات تحتوي على كميات كبيرة من أشجار البلوط، بالإضافة إلى الحطب الذي كان يحمل إليها من الجهات المجاورة⁽³⁾، فكان لعمارة المساجد وبناء القصور والبيوت أثراً في تطور الصناعات الخشبية بما احتاجته من أسقف ونوافذ وأبواب ومنابر وأثاث وتحف وغيرها⁽⁴⁾، واشتهرت كذلك بصناعة المخروطات الخشبية كصناعة المحارث وعجلات العربات وعجلات أخرى تستعمل للطواحين أو لرفع الماء⁽⁵⁾، وصناعة المكايل الخشبية لكيل القمح والغلات الأخرى⁽⁶⁾، وصناعة المزامر والعيديان وغيرها⁽⁷⁾، وكل هذه الصناعات كانت تحتاج إلى كميات كثيرة من الأخشاب لذا كان يدخل للمدينة من خشب الأرز كل يوم مالا يحصى⁽⁸⁾.

(د) صناعة دبغ الجلود:-

أما الصناعات التي اعتمدت على الحيوانات فيأتي في مقدمتها صناعة دبغ الجلود التي تقوم على جلود الضأن والبقر والماعز⁽⁹⁾، وارتبطت بصناعة الدباغة صناعة الصباغة وفي ذلك قال ابن أبي زرع: " يوجد

(1) ابن القاضي : المصدر السابق ، ج1ص116 .

(2) ابن خلكان : وفیات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ط1، 1971م)، ج1ص170 .

(3) الجزنائي : المصدر السابق ، ص35 - ليون الافريقي : المصدر السابق ، ص216 .

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص73-74-75 - الجزنائي : المصدر السابق ، ص55 .

(5) العمري : وصف المغرب (مقتبس من المسالك) ، ص141 - القلقشندي : المصدر السابق ، ج5ص152 .

(6) مارمول : افريقيا ، ج2ص153-154 .

(7) البيدق : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م)، ص24 .

(8) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص51 - الجزنائي : المصدر السابق ، ص35 .

(9) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص406 - حسن علي حسن : المرجع السابق ، ص263 - للمزيد عن عملية دباغة الجلود .

انظر : عبد القادر زمامة : فاس وصناعاتها التقليدية ، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد الرابع والخامس، 1980-1981م)، ص468 .

يوجد بضفتي الوادي الكبير دور الصباغين وحوانيتهم، ودور الدباغ، ودور الصباغين، وحوانيت الخياطين والقصابين والسفاجين، والكوش والافران المعدة لطبخ الغزل وغيرهم⁽¹⁾.

(هـ) الصناعات المعدنية:-

كان للصناعات المعدنية باعاً في فاس، حيث شهدت تطوراً ملحوظاً في هذا المجال، فعلى بعد ستة أميال من فاس ثم اكتشاف معدن الملح، ووصفت كمياته بأنها كثيرة جداً يباع عشرة أصواغ بدرهم⁽²⁾، وعمل أهل فاس على الاستفادة من النهر الذي يمر بالمدينة، فاستخرجوا منه "الصدف الحسن الذي يقوم مقام الجواهر النفيس، تباع منه الحبة بمثقال من الذهب أو أكثر، وذلك لحسنه وصفائه وعظم حرمه"⁽³⁾، وهناك بعض المواد الخام التي دخلت في صناعة مواد البناء وغيرها، وهي الجص والصلصال والرمال المختلفة الأنواع⁽⁴⁾، الأنواع⁽⁴⁾، مما ساعد الأهالي في استخدامها في الصناعات الفخارية والخزفية، لذلك أصبح لهذه الصناعة أماكن أماكن خاصة تصنع فيها واشتهرت بها⁽⁵⁾، واستخرجت الفضة والحديد والنحاس من معدن قرب فاس سمي معدن (عوام) الشهير، ومنها يحمل النحاس الاصفر إلى جميع المناطق⁽⁶⁾، كما تعددت أسواق الحدادين لحاجة الحاجة المجتمع لمزيد من المصنوعات الحديدية من مسامير وسكاكين وسيوف وسروج ولحافات وقلائس وأدوات الخياطة⁽⁷⁾.

وعن صناعات الزجاج كان بفاس حسب قول ابن أبي زرع إحدى عشر مصنعاً لعمل الزجاج، وتفنن الفاسيون في صنع أشكال متقنة من أنواع الزجاج بألوان مختلفة مثل الشمسيات التي بجانب القبلة بمسجد القرويين، وصنعت قوارير الزجاج التي كانت تسرح في أول الليل وآخره⁽⁸⁾.

(1) روض القرطاس، ص58.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص43-44 - الجزائلي: المصدر السابق، ص35. ابن القاضي: المصدر السابق

، ج1ص43.

(3) مجهول: رسالة في ذكر من اسس مدينة فاس (مخطوط)، ورقة45. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص43.

(4) مجهول: رسالة في ذكر من اسس مدينة فاس (مخطوط)، ورقة46. الجزائلي: المصدر السابق، ص35. حسن علي

حسن: المرجع السابق، ص259.

(5) محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس (دار الثقافة العربية، بيروت، د.ت) ص99. عبد

عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها، ص472.

(6) مجهول: الاستبصار، ص181. الحميري: المصدر السابق، ص435.

(7) الحسن الوزان: المصدر السابق، ص184. مارمول: المرجع السابق، ج2ص152 وما بعدها.

(8) مجهول: ذكر الملوك الادارسة (مخطوط)، ورقة10. السيوطي: كتاب في نسب بعض الصحابة (مخطوط)، ورقة30.

كما انعكس توفر المعادن في اتخاذ فاس مقرأً لسك العملة، فكان فيها دارين للسكة، واحدة بكل عدوة منذ سنة (484هـ/1091م) إلى سنة (539هـ/1144م)⁽¹⁾، "وضرب السكة [الأمير يوف بن تاشفين وجددها ونقش عليها في ديناره (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) وتحت ذلك (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) وكتب في الدائرة (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وكتب في الصفحة الأخرى (الأمير عبد الله العباسي) وفي الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكه"⁽²⁾.

ج- ثالثاً التجارة :

العوامل التي ساعدت في ازدهار التجارة:

كان لحالة الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي شهدته دولة المرابطين في عهد الأمير يوسف بن تاشفين، وعهد ولده الأمير علي الأثر الكبير في ظهور أهمية التجارة وازدهارها، فالتجارة كالصناعة من أقدم الأنشطة الاقتصادية في فاس⁽³⁾، ولاشك أن اعتناء التجار بالتجارة يعود إلى إلغاء الدولة المرابطية للضرائب الفادحة والمكوس على التجارة والمتاجر، حيث ذكر ابن أبي زرع عن سياسة الأمير يوسف بن تاشفين الضريبية بأنه: "لم يوجد في بلد من بلاده ولا في عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونة ولا خراج في حاضرة ولا بادية إلا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار"⁽⁴⁾.

كما حرص ولاة الأمر في الدولة المرابطية على تنظيم الشؤون المالية، واتخذوا عدة خطوات لذلك فدون الأمير يوسف بن تاشفين سنة (464هـ/1071) الدواوين، ورتب الأجناد وطاعته البلاد⁽⁵⁾، كديوان الغنائم ونفقات الجند، وديوان الضرائب، وديوان الجباية، وديوان مراقبة الدخل والخراج⁽⁶⁾، ومما

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص52. وللمزيد عن تفاصيل كيفية تنظيم دار السكة .

انظر : ابن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة (نشر حسين مؤنس ، صحيفةمعهدالدراساتالاسلامية ، مدريد ، المجلد السادس ، العدد 1 ، 2 السنة 1958م) ص111-112 ، 117 .

(2) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 174 .

(3) حسن قرنفل : : أهل فاس المال والسياسة، (دار أبي رفاق، الرباط، ط1، 2007م)، ص56 .

(4) روض القرطاس ، ص173 ، 210 .

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج4ص23 .

(6) حسن علي حسن : المرجع السابق، ص185 . وللمزيد من التفاصيل .

انظر : النويري : تحاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1983م)، ج2ص85، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ/1995م)، ج8ص296، هوبكنز : المرجع السابق، ص49، عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ، ص172 .

ساهم في ازدهار التجارة وامتاحتها من العديد من شرائح المجتمع المختلفة التوحيد بين المغرب والأندلس والسودان، حيث أصبح في الإمكان أن تنتقل القوافل من أقصى السودان إلى أقصى الأندلس، ثم إلى العالم العربي شرقاً، والعالم الأوروبي شمالاً⁽¹⁾.
التجارة الداخلية:

كانت القوافل التجارية تخرج من فاس متجهة إلى المدن المغربية الأخرى⁽²⁾، كمدينة سجلماسة ومنطقة السوس الأقصى، ومدينة أغمات وغيرها، وصور الإدريسي وصفاً للطرق التي كانت تقطعها القوافل من وإلى فاس رابطة شرق البلاد بجنوبها، فمن " أراد الطريق إلى تلمسان من سجلماسة فالقوافل تسير من تلمسان إلى فاس ومن فاس إلى صفرو إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة"⁽³⁾.
أهم الأسواق التجارية في فاس:

يتطلب الحديث عن التجارة التعريف بأسواق المدينة (فاس) وتنظيمها، لأنها تمثل مركز النشاط التجاري بصور ومراحل مختلفة، حيث تعد الأسواق مركز للحياة الاقتصادية⁽⁴⁾، ولقد وصف الحسن الوزان أسواق فاس المختلفة وما كان يروج فيها من منتجات صناعية محلية بأيد مغربية إذ قال: " هذا السوق هو نوع من مدينة صغيرة محاطة بجدران تحتوي على اثني عشر باباً تفتح فيها... ينقسم هذا السوق إلى خمسة عشر حياً..."⁽⁵⁾،

(1) الحسن السائح : الحضارة المغربية "البداية والاستمرار"، (منشوات عكاظ، الرباط، ط2، 2004م)، ج2ص85. عز الدين موسى : المرجع السابق، ص27.

(2) حسن علي حسن : المرجع السابق، ص27. عفيفي محمد إبراهيم : المرجع السابق، ص199-200.

(3) زهرة المشتاق، ص249.

(4) عفيفي محمد إبراهيم : المرجع السابق، ص191.

(5) وصف افريقيا، ص245-246. وللمزيد من التفاصيل عن أسواق فاس وحواليها ومواقعها وأنواعها ومدى انتشارها في المدينة.

أنظر : المصدر نفسه، الصفحات 239، 242-243، 247، 249. كما وصف مارمولكر فخال بعد نصف قرن من وصف الحسن الوزان، وصفاً للقياسية طابق إلى حد كبير وصف الحسن الوزان، افريقيا، ج2ص148-149. كما بين حسن حسني عبد الوهاب كيفية تنظيم الاسواق وتخصيصها الذي سار على نسق متشابه في سائر المدن المغربية، بل أصبحت تسمية هذه الأسواق واحدة أو متقاربة في سائر بلاد المغرب مثل [سوق العطارين، سوق الوراقين، السراجين، البرازين ...] : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، (مكتبة المنار، تونس، 1965م)، ق1ص58-59.

ورثت أسواق فاس منذ نشأتها⁽¹⁾، واختص كل سوق بنوع معين من السلع، فوجد سوق الحائكين والكتان وثياب الحرير وسوق القطن البالي والمفصل الجديد وتطريز الحرير، وسوق العطارين، كما وجد سوق بيع الإبر والمخيطه والمقص، وسوق تباع فيه المعاجين والاحقاف والمرهم، وسوق الخرازين وأهل الريحة والشرابيل وسوق الحدادين من سيوف ونبال وحراب⁽²⁾، وقال ابن القطان: وفيها سنة (533هـ/1138م) وقع الحريق في سوق فاس، واحترق من رأس عقبة الخرازين إلى باب...؟! واحترق سوق الثياب والقرافين وغير ذلك من الأسواق إلا البقالون...⁽³⁾.

وتجدر الملاحظة بأن القوة الاقتصادية للدولة المرابطية تظهر في قوة دينارها المرابطي، الذي تتكلم عنه كتب الفتاوي والنوازل والمراجع الأجنبية التي أرخت لهذه الدولة، وباختصار يمكن الإشارة إلى العوامل الكامنة وراء قوة العملة المرابطية، وهي عوامل اقتصادية وسياسية أهمها: أن الدينار المرابطي كان يضرب من الذهب الخالص الذي وصلت درجة نقائه إلى 96%، مما جعله مرجعاً معتمداً في الأوساط التجارية⁽⁴⁾، كما كانت المثاقيل المرابطية غاية في الجودة واكتسبت سمعة عالية⁽⁵⁾، أما المكابيل والموازن التي كان يستعملها أهالي المدينة فقد أشار إليها البكري حيث قال: "ومدهم يسع من الطعام ثمانية أوقية، ومديهم يسمونه اللوح وفيه من هذا المد مائة وعشرون مداً"⁽⁶⁾، وجميع المأكولات عندهم من زيت وعسل ولبن وزبيب إنما تباع بالأواق⁽⁷⁾.

قال الإدريسي واصفاً فاس كمركز تجاري: "مدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى... وهي حضرتها الكبرى ومقصدها الأشهر وعليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل، ويجلب إلى

-
- (1) مجهول: ذكر ملوك الادارة (مخطوط)، ورقة 2. مجهول: رسالة في ذكر من اسس مدينة فاس (مخطوط)، ورقة 32.
- (2) مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسلمين بالبلدين (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، دك1/111 ضمن مجموعة مخطوطات)، ورقة 468-469.
- (3) نظم الجمان لترتيب ما ساف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، (دار الغرب الإسلامي، بيروت 1411هـ/1990م)، ص268.
- (4) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، (الدار العربية للكتاب، تونس، 1997م)، ص129.
- (5) المرجع نفسه، 129-130.
- (6) مقتبس من المسالك، ج2ص798.
- (7) المصدر نفسه والصفحة. موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي "نشأها وتطورها"، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م) ص76.

حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة " (1)، فصارت بذلك "تعج بالتجار من مختلف مدن المغرب الذين اتخذوا في أسواقها متاجر يصرفون فيها بضائعهم وسلعهم" (2)، و" انتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومتصرف، واجتمع فيها ماليس في مدينة من بلدان الدنيا، وأنتها التجارات وأهل الصناعات من كل صقع حتى تكامل بها كل متجر ... " (3).

التجارة الخارجية:

ان أمتداد رقعة الدولة المرابطية أدى إلى فتح منافذ كثيرة وطرقاً مختلفة لتسويق المنتجات الزراعية والصناعية، فنشطت بذلك حركة الصادرات والواردات، ونمت التجارة الداخلية والخارجية على السواء، وكان لرواج التجارة الداخلية أثراً في تكوين علاقات تجارية مع الدول المجاورة كالأندلس، الذي ساعد الاسطول المرابطي بتسهيل حركة النقل بين المغرب والأندلس، وكان لموقع المغرب الأقصى دوره على ساحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، أثر في نشأة عدة موانئ سهلت الاتصال بالعالم الخارجي، وتمكنت تلك الموانئ في تأدية دورها في الحركة التجارية في ظل حماية الاسطول المرابطي (4)، كما كانت لها علاقة بالصحراء الجنوبي السوداني، فقد صارت المغرب الأقصى ممراً آمناً لتجارة الصحراء إلى الأندلس وأوروبا والمشرق (5)، لذلك اكتسبت التجارة بين فاس وجنوب الصحراء أهمية خاصة جعلت تجار فاس يتدفقون إلى المدن السودانية كجني (6)، وتنبكت (7).

(1) نزهة المشتاق ، ص 246 . الحميري : المصدر السابق ، ص 434 . حسن علي حسن : المرجع السابق ، ص 172 (10) عفيفي محمد إبراهيم : المرجع السابق ، ص 199 .

(3) مجهول : رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس (مخطوط) ، ورقة 51 . الجزنائي : المصدر السابق ، ص 39 .

(4) عيسى الديب : التجارة في عصر المرابطين (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، 1990م) ص 117-118 .

(5) حسن أحمد محمود : قياد دولة المرابطين ، ص 399 _ عيسى الديب : المرجع السابق ، ص 118 .

(6) مدينة جني : تناخم مملكة ولاتة ، وتمتد على نهر النيجر على امتداد مائتين وخمسين ميلاً تقريباً .

انظر : ليون الافريقي : المصدر السابق ، ص 537 .

(7) مدينة تنبكت : مدينة بصحراء السودان نشأت على أيدي توارق في أواخر القرن الخامس الهجري .

انظر : السعدي : تاريخ السودان ، (أنجي مطبعة بردين ، 1898م) ص 20-21 .

أما عن علاقة فاس بالشرق، ارتبطت بطريقتين سهل ذلك الاتصال، الطريق الأول هو طريق الساحل⁽¹⁾، حيث كان لسيطرة المسلمين على حوض البحر المتوسط دوراً في الازدهار الاقتصادي والتجاري بين الشرق والغرب، حيث كانت سفن المرابطين دائمة الحركة إلى بلاد الشام لجلب التوابل والمنتجات الفاخرة من بلاد الشرق إلى شمال أفريقيا⁽²⁾، والثاني: ارتباط فاس بطريق سجلماسة مصر، وشجع ذلك التبادل التجاري بين فاس وبلاد الشرق عامة، ومصر خاصة، فمصر كانت تقع في طريق قوافل الحجاج، وقد أشار ابن القاضي إلى إحدى قوافل الحج التي خرجت من وادي سبو متجهة إلى المشرق، وذلك قبل سنة (503هـ/1109م)⁽³⁾، وامتدت تجارة فاس إلى بلاد الهند⁽⁴⁾. ونستخلص مما سبق ذكره مايلي:

تضمنت طبيعة الحياة الاقتصادية في مدينة فاس، ثلاث جوانب اقتصادية مهمة، شكلت العصب المركزي لحياة السكان بها في ذلك العصر - عصر المرابطين -

أثر الاستقرار السياسي والتنمية العمرانية في ازدهار الحياة الاقتصادية في مدينة فاس. كان الازدهار الاقتصادي في فاس نتاجاً لإدارة مالية منظمة، أدى إلى إزدهار زراعي، وتقدم صناعي، ونشاط تجاري.

ساهمت الظواهر الطبيعية؛ من سطح وماتضمنه من تربة خصبة، وإنهار متعددة، بالإضافة إلى تنوع المناخ في تقدم الزراعة التي أهتم بها الفاسيون، لذلك اشتهرت فاس بمحاصيل زراعية لا توجد في غيرها من المدن القريبة أو البعيدة، فازدهرت أشجارها، وطابت ثمارها، وأخصبت زروعها، حتى أنها كانت تكفي المدينة كلها.

ساعدت وفرة المواد الخام التي تقوم عليها الصناعة من ناحية؛ مع وجود الخبرة الصناعية المتمثلة في الأيدي العاملة من ناحية أخرى، في القيام بالعديد من الصناعات المختلفة، كالصناعة المنسوجة،

(1) الحسن السائح : المرجع السابق ، ج2ص85 .

(2) المرجع نفسه ، ج2ص85-86 .

(3) جدوة الاقتباس ، ج2ص560 . عيسى الديب : المرجع السابق ، ص156 .

(4) وثائق الجينزا : مجموعة من الوثائق المهمة لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمنطقة الشرق الأدنى في العصور الوسطى .

انظر : حسين مُجَد ربيع : وثائق الجينزا وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي (بحث منشور في موسوعة دراسات تاريخية للجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، طبعة الرياض ، 1979م) ج2ص132 .

والصناعات الحربية المختلفة، ومواد المعمار وأدواته الخشبية والمعدنية، والصناعات الخشبية، التي استخدمت لعمارة المساجد وبناء القصور والبيوت، بالإضافة لصناعة المعادن كالفضة والحديد والنحاس وغيرها، بل اتخذت فاس مقرًا لسك العملة كذلك، في سد احتياجات سكان المدينة ، بل ودعم السلطة المركزية في مراكش.

ترتب على ازدهار النشاط الزراعي والصناعي، نشاط تجاري، الذي حظي بتشجيع ولاية الأمر ودعمهم له، وذلك بتشجيع التجار على المجيئ لفاس، وتوفير سبل الإقامة لهم، بإنشاء الفنادق والحمامات، فكان له دور كبير في ازدهار اقتصاد فاس من خلال التجارة الداخلية للمدينة، والخارجية مع البلدان المجاورة، وقد ساهم في تنشيط التجارة داخل المدينة كثرة الاسواق بها وتنوعها، وتنظيمها الدقيق والاشراف عليها من ذوي متخصصين قائمين بها.

نتج عن الازدهار الاقتصادي في مجالاته المختلفة، استقرار اجتماعي وتعايش سلمي بين طبقات المجتمع الفاسي المختلفة فشاع الامن والطمأنينة في ربوع المدينة. فالاستقرار إذا اقترن بالرخاء مكن للحضارة من أن تذكو نبتتها وتنضج ثمارها، لذلك عاشت فاس في ظل الدولة المرابطية حياة اقتصادية مزدهرة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً/ المصادر العربية المخطوطة

- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت911هـ/1505م): كتاب في نسب بعض الصحابة والاشراف الادريسيين وغيرهم من ملوك لتونة والموحدين (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 2024).
 - مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس (مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 9732 ميكروفيلم 10988). قام بنسخ هذا المخطوط عبد السلام الغرابلي الجبلاني.
 - مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمين بالبلدين (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، دك 1/111 ضمن مجموعة مخطوطات).
 - مجهول: تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين والأندلسيين (مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم 603 تاريخ).
 - مجهول: خطط مدينة فاس (مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 610 بلدان، ميكروفيلم 9989).
 - المكناسي: عقد اللآلئ المستضيئة (مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم 1891).
- ثانياً/ المصادر العربية المطبوعة:
- ابن الأبار: (أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر القضاعي ت658هـ/1260م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1415هـ/1995م.
 - ابن أبي زرع: روض القرطاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1420هـ/1999م.
 - ابن الأثير: (أبو الحسن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ/1995م.

- ابن الأحمر: (إسماعيل ابن الأحمر ت 807هـ/1404م): بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- الإدريسي: (الشريف مُحمَّد بن عبد العزيز ت 560هـ/1164م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1866م.
- البكري: المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، بيت الحكمة للنشر، الدار العربية للكتاب، قرطاج، 1992م.
- البيدق: (أبو بكر بن علي الصنهاجي متوفى في منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.
- الجزنائي: (علي الجزنائي، من أهل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي): جنى زهر الآس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1429هـ/2008م.
- الحسن الوزان: (الحسن بن مُحمَّد ت 944هـ/1537م): وصف أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، الرياض، 1978-1979م.
- الحميري: (مُحمَّد بن عبد المنعم، متوفى في أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي): الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ط2، 1984م.
- ابن حوقل: (أبو القاسم مُحمَّد بن علي البغدادي النصيبي ت 380هـ/990م): صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، 1983م.
- ابن خلدون، (أبو زيد عبد الرحمن بن مُحمَّد ت 808هـ/1405م): مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، نضضة مصر، القاهرة، ط5، 2010م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر (دار القلم، بيروت، ط5، 1985م.
- ابن خلكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد بن مُحمَّد ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1971م.
- الزهري: كتاب الجغرافيا، تحقيق: مُحمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.
- السعدي: تاريخ السودان، أنجي مطبعة بردين، 1898م.

- ابن سعيد المغربي: (أبو الحسن علي بن موسى المغربي ت685هـ/1286م): كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970م.
- بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوانقرنيط خينيس، تطوان، 1958م.
- السلاوي: أحمد بن خالد السلاوي (ت1315هـ/1897م)، لاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق: مُجد عثمان، دار الكتب العلمية (بيروت، 1432هـ/2007م).
- ابن عذاري: (المراكشي ت695هـ/1295م): البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب، (تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1983م).
- البيان المغرب "قسم الموحدين"، تحقيق: مُجد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ/1985م.
- ابن عربي: (أبو بكر بن مُجد ت543هـ/1148م): الفتوحات المكية، بيروت، دار صادر، د.ت.
- العمري: وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، مقتبس من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأقطار، تحقيق: دوريتا كرافكسي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1985م.
- ابن عيشون: (مُجد بن مُجد الشراط ت1109هـ/1697م): الروض العطر الأنفاس، تحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط1، 1997م.
- ابن القاضي: (أبو العباس أحمد بن مُجد ت1025هـ/1616م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.
- ابن القطان: (أبو الحسن علي بن مُجد الكتامي الفاسي ت628هـ/1230م): نظم الجمان لترتيب ما ساف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1990م.
- القلقشندي: (أحمد بن علي ت820هـ/1417م): صبح الأعشى، تحقيق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.
- مجهول: (لمؤلف مجهول من كتاب القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي): الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق: د.سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.

- مجهول: (مؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1958م.
 - المراكشي: (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ت703هـ/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، د.ت، السفر الأول، والسفر الثامن. والسفر الرابع، والسفر الخامس، والسفر السادس، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965م.
 - المقديسي: أحسن التقاسيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1411هـ/1991م.
 - النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت732هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب (تحقيق: حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1983م).
 - الونشريسي: (أبو العباس أحمد بن يحيى ت914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
 - ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله ت626هـ/1229م): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.
 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد (تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1980م).
 - ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، نشر حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السادس، العدد 1، 2 السنة 1958م.
- ثالثًا/ المراجع العربية:
- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
 - أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، (الدار العربية للكتاب، تونس، 1997م)،
 - حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1416هـ/1996م.

- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م.
 - حسن حسني عبد الوهاب، ورفقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1965م.
 - الحسن السائح: الحضارة المغربية "البداية والاستمرار"، منشوات عكاظ، الرباط، ط2، 2004م.
 - حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.
 - حسن قرنفل: أهل فاس المال والسياسة، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، 2007م.
 - حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.
 - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير (دار النهضة العربية ، بيروت، 1981م).
 - عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق ، القاهرة ، 1403هـ/1993م.
 - عفيفي محمود إبراهيم: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، دار المعارف، مصر، 1998م.
 - مُحمَّد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة العربية، بيروت، د.ت.
 - مُحمَّد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1241هـ/1991م.
 - محمود إسماعيل: الأدراسة (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م).
 - موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1971م.
- رابعًا/ المراجع المترجمة:
- بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس (ترجمة: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1956م) .
 - مارمول: (كرفخال متوفى في أواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي): إفريقيا، ترجمة: مُحمَّد حجي وآخرون ، مكتبة المعارف، الرباط ، 1408-1409هـ/1988-1989م.
 - هوبكنز: النظم الإسلامية، نقله عن الإنجليزية: أمين توفيق، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ت.

خامساً/الدوريات والمجلات العلمية:

- حسين مُحمَّد ربيع : وثائق الجينزا وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي، بحث منشور في موسوعة دراسات تاريخية للجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، طبعة الرياض، 1979م.
- عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في المغرب في العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس جامعة سيدي مُحمَّد بن عبد الله، العدد الثاني، سنة 1985-1986م.
- عبد القادر زمامة : فاس وصناعتها التقليدية (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي مُحمَّد بن عبد الله، العدد الرابع والخامس، 1980-1981م).
- : وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه في فاس القديمة، مجلة البحث العلمي، العدد31، أكتوبر 1980م.

سادساً/الرسائل العلمية:

- خالد حسين محمود: حضارة مدينة فاس في عصر الأدارسة "دراسة اقتصادية واجتماعية" (رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 2000 م).
- عيسى الديب : التجارة في عصر المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، 1990م.
- كريمة عبد الرؤوف مُحمَّد: عامة مدينة فاس حتى نهاية عصر الموحدين 192-667هـ ، (رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس ، 2005م).